Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الردّ القوى على بعض هؤلاء النحاة متمثل في قول الرّضى: «ولايتم له هذا فى قوله: إذ ما دخلت»(٣١٥).

و يقصد الرّضى بردّه أن هذا التقدير بقلب الميم ذالاً في البيت السابق «إذْ ما دخلت على الرّسول» الخ لايتّم له، ولايمكن أن ينطبق عليه، وذلك لأنّ إماّ كما يقول هؤلاء البعض لا تأتى إلاّ بنون التوكيد معها، «وإذما» في البيت متلّوة بالفعل الماضى: «دخلت»، ولايدخل نون التوكيد في الماضى.

على أن القول الذي يستحق أن نقف عنده وقفة قصيرة هو قول السيرافي السابق: «ماعلمت أحداً من النحويين ذكر «إذما» غيرسيبويه وأصحابه» وهو قول مبالغ فيه، لأن معظم النحويين الذين سبقوه ذكروا لـ «إذما» هذا الحكم الذي قرّره سيبويه .

وها هو ذا المبرد يعترف بهذا الحكم، و يسلّم بهذه القضية مع أن المبرد كان مولعاً بالردّ على سيبويه في مسائل معروفة لايتسع البحث للتعرّض لها.

يقول المبرّد معلّلاً لجزم «إذما» بعد دخول «ما» عليها: «ولايكون الجزاء في إذْ، ولافى حيث بغير «ما» لأنهما ظرفان يضافان إلى الأفعال، وإذا زيدت على كلّ واحد منهما «ما» مُنعتا الإضافة فعملتا»(٣١٦).

إنّ الخلاف بين سيبويه والمبردّ في قضية الجزم بـ «إذما» ليس هو الجزم، وإنما في معنى إذ ما بعد دخول «ما» عليها، هل هى حرف أو اسم؟.

سيبويه يرى أنها حرف كـ «إن» كما قلنا، والمبرّد يرى أنها اسم باق على اسميّته حتى بعد دخول «ما» عليه.

قال المبرّد: «إذما باقية على اسميتها، و«ما» كافة لها عن طلب الإضافة، مهيّئة للشرط والجزم كما في حيث، فإنها صارت بـ «ما» بمعنى المستقبل، وجازمة»(٣١٧).

ولعل المبرّد ينظر إلى أن «الأصل بقاء الكلمة على الاسّمية التي كانت عليها، وعدم تغيرّها إلى الحرفية بدخول كلمة أخرى»(٣١٨).